كتاب الشباب

الفَخُّ البَشَرِيّ

أحمد عبدالسلام البقالي



مكتبة العبيكان



الفَخُّ البَشَرِيّ

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيكان

لَمْ يَكُنِ الممثِّلُ المنسِي «أحمد الطِّيبي» يظُنُّ أَنَّـهُ سيُمَثِّلُ أَعْظَمَ أَدْوَارِ حَيَاتِهِ ذَلِكَ ٱلْمَسَاءَ.

أَوقَفَ سَيَّارَتَـهُ عَلَى ٱلْجُرفِ المُطِلِّ عَلى المُحِيطِ وَنَزَلَ. ٱنفَتَحَتِ الأَبْوَابُ الأُخْرَى، ونَـزَلَتْ زوْجَتُهُ زُبيدةُ الحَسناءُ، رغْـمَ ٱمْتِلاَئِهَا مُـؤَخَّـراً، وَنَـزَلَ طِفلاهُ طَـارِقٌ وَرِضَـا، وهُمَا في الثـانِيـةَ عشْرَةَ، والعَاشِرَةِ تبَاعًا.

ولَـمْ تَمضِ عشْرُ دَقَائِقَ حَتَّى كَـانَ الأُسْتَاذُ أَحْمَدُ ٱلطِّيبِي يشرب شايه، وَيَقْرَأُ ٱلْجَرِيدَةَ، وهُـوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ صَيْدِهِ القَصِيرِ، وقَد رَكَـزَ ٱلْقَصَبَةَ أَمَامَهُ، بَعْـدَمَا رَمَى بِالصنَّـارَةِ وَالطُّعْمِ بَعِيداً، خَلْفَ ٱلأَمْـوَاجِ ٱلتِي كَانَتْ تَـرتَـدُّ بِلُطْفٍ عِنْدَ ٱلْتِقَـائِهَا بِجِـدَارِ الجُرْفِ.

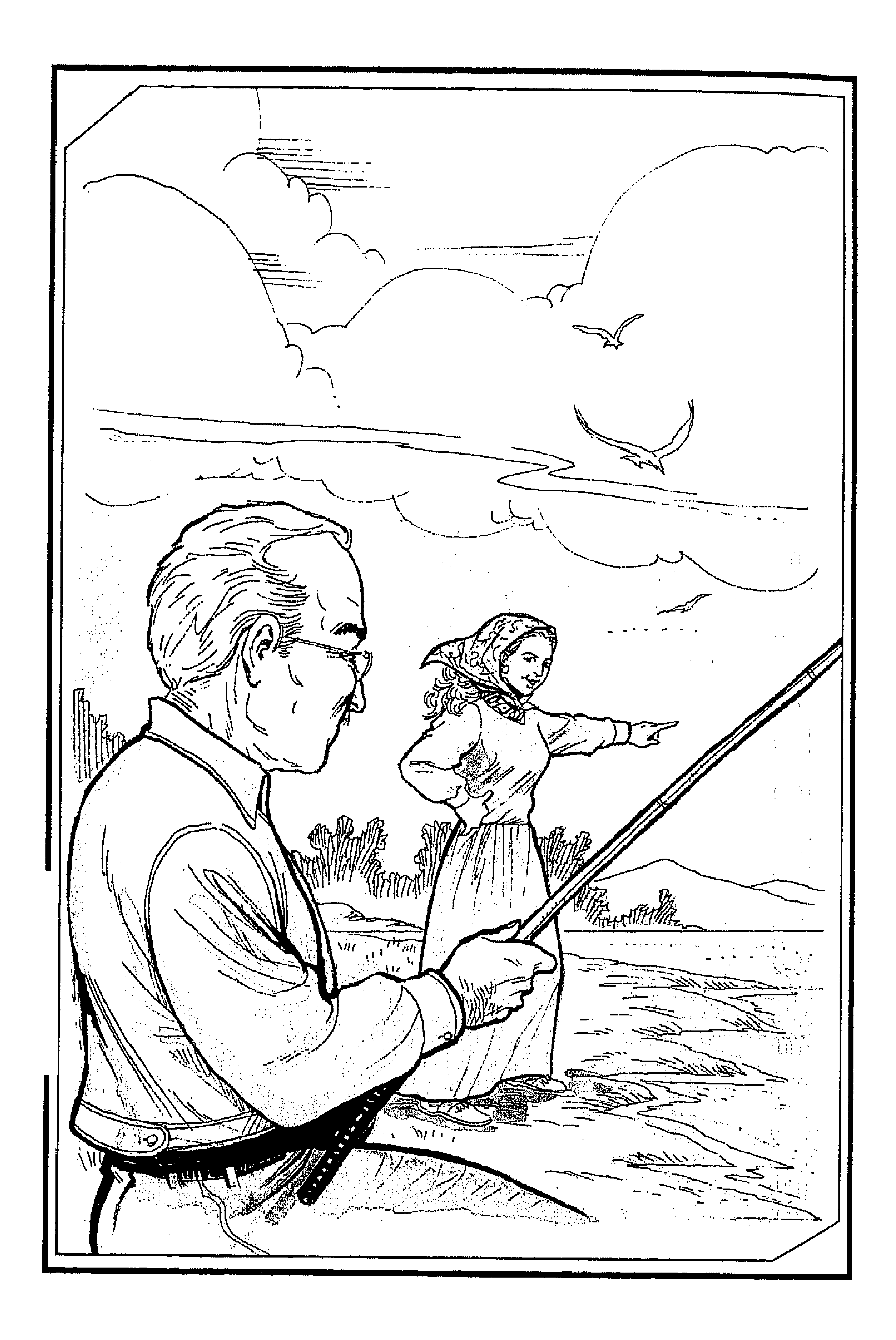
كَانَ يَضَعُ عَلَى رَأْسِـهِ طَاقِيَّةً اسكُـوتْلانْـدِية، مُلَوَّنَـةً دَوَائِرُهَا

بِجَمِيعِ أَلْـوَانِ قَوْس قُـزَحَ ، وَعَلَى عَيْنَيْـهِ نَظَّارَةٌ ذَاتُ إِطَـارٍ ذَهَبِيٍّ رَقِيقٍ، وَقَـدِ ٱخْتَلَطَ ٱلشَّيْبُ فِي وجهـه المستديـر بِشَعـرِ شَارِبِـهِ الدَّقِيقِ .

وَاسْتَرْعَى انْتِبَـاهَـهُ عُنْـوَانٌ عَلَى ثَـلاثَـةِ أَعْمِـدَةٍ، بِـالصَّفْحَـةِ الثَّـالِثَـةِ ، يُعْلِنُ : «عِصَـابَـةُ عَيْنِ الـذِّئَابِ تَقْتُلُ رَجُـلاً وتَخْتَطِفُ زَوجَتَهُ» .

كَانَتْ تَسْتَهْوِيهِ الدرَامَا الإنْسَـانِيةُ الْحَقِيقِيةُ التِي يَعْثُرُ عَلَيْهَا ، منْ حِينٍ لآخَرَ، بَيْنَ صَفَحَاتِ الجَرَائِدِ، فَيَقْـرَأُهَا بِشَغَفٍ واهْتِمامٍ مِهنِي، لَعَلَّـهُ يَسْتَطِيـعُ أَنْ يَسْتَخْـرِجَ مِنْهَـا مَسْرَحِيَّـةً أو رِوَايَـةً تِلِفِزْيُونِيَّةً . وَقَرَأَ :

«وُجِـدَتْ جُثَّـةُ رَجُلٍ فِي نحوِ الأَرْبَعِينَ عَلَى شَـاطِئِ سيـدِي عَبْـدِ الـرَّحْمنِ. عَثَـرَ عَلَيْهَــا صَيَّـادٌ صَبَـاحَ أَمْسِ، وَتَبَيَّنَ بَعْـدَ التَّحْقِيقِ أَنَّ القَتِيلَ كَــانَ يَتَنَـزَّهُ هُــوَ وَزَوجَتُـهُ وَطِفْلَتُهُمَا، حِينَ فَاجَأَتْهُمْ عِصَـابَةُ عَيْنِ الذِّئَابِ التِي أَشَاعَتِ الـرُّعْبَ فِي المَنْطقَةِ ، فَاعْتَدَتْ عَلَى الزَّوجِ، وتَرَكَتْـهُ فِي حُكْمِ المَيِّتِ، وأَخَذَتِ الزَّوجَةَ



والطِّفلَـةَ في سيَّـارَةِ الأُسْرَةِ. والبَحْثُ جَادٌّ في العُثُـورِ عَلَى هَـذِهِ العِصَـابَـةِ الإِجْـرَامِيَّـةِ التِي يَبْـدُو مِن تَصَرُّفَـاتِهَا الْـوَحْشِيَّـةِ أَنَّهَا تَتَعَـاطَـى الْمُخَـدِّرَاتِ الشَّـدِيـدَةَ المَفْعُـولِ، وتُتَـاجِـرُ فِي قِطَعِ السيّارَاتِ الْمَسْرُوقَةِ لإِشْبَاعِ نَهَمِهَا من المُخَدِّرَاتِ...».

وَرَفَعَ أحمد الطِّيبي عينيْهِ في قَلَقٍ عن الجريـدَةِ ليمسَحَ بنظرتِهِ المِنطقَةَ المُحيطَةَ بِهِ. كان الجرفُ بعيداً عن الطريقِ العامِّ.

وحينَ لم يـرَ إلاَّ ولـديـهِ يلعبـانِ تَنفَّس مـرتـاحـاً، وقلبَ الصفحةَ، ومعها طـوى قلقهُ؛ فوجودُ عصـابةٍ من عين الذّئابِ (بـالـدَّارِ البيضَـاءِ)، في هـذه المنطقـة المنعـزلـةِ من ضـواحي (الرِّباط) مُستبعدٌ جِدًّا.

وألقى نظـرةً على رأس قصبتـه الدقيقِ، ثمَّ عـادَ إلى صفحـةِ الرياضةِ.

وَصبَّتْ لـهُ زوجتُـهُ قَهْوَةً سـاخنَـةً منَ (التِّرمُـوس)، وَوَقَفَتْ تمدُّهَا لهُ، وحِينَ رَفَعَ عينيْـهِ إليهَا وجدَهَا تنظُـرُ بعيداً، فنَظَرَ إِلَى حيثُ كانَتْ تنظُرُ، فإذَا سبعَةُ أشْخَاصٍ قادمُونَ نحْوَهُمْ.



«العِصَابَةُ مكوَّنَةٌ مِنْ سبعَةٍ !» .

ونهَضَ من كرسيِّهِ، وأبعدَ كأْس القهوَة بيدٍ مرتعشَةٍ، فأعدَى زوجتَهُ زبيْدَةَ بقلقِهِ .

- مَنْ يكونُ هؤُلاءِ، يا أحمدُ ؟

- لاَ أدْرِي، ولكن «مِن الحزْمِ سُوءُ الظَّنِّ» . أيْنَ الْولَدَانِ؟

- فوقَ صخرَةٍ تحتَ الجُرْفِ . يَرْميانِ الحَصَى في المَاءِ .

- لماذَا ؟ هَلْ تعتقِدُ أنَّ هؤلاءِ ينْوُونَ شَـرًّا ؟

- لاَ أدْرِي، ولكِنَّ الاحتياط واجب .

كـانَ السَّبعَةُ يقتربـونَ بسرعـةٍ مقلقةٍ . . ولمْ يبْـدُ عليهِمْ أنَّهُمْ سيتحوَّلُون عَنِ اتِّجاهِهِمْ .

ودارَ مُخُّ أحْمَدَ الطِّيبِي بسُرعَةٍ مُفْرِطَـةٍ . . «ماذَا يَفْعَلُ لَوْ كَانَ هؤلاء هُمْ عِصَابَةَ عيْنِ الذِّئَابِ ؟» .

وتَوجَّهَ إلى نفسِـهِ باللَّومِ : «ولماذَا أختَارُ أنَـا الخُرُوجَ للصَّيْدِ في هَذِهِ المنطقةِ المعزولةِ، خصوصا في هذا اليومِ ؟» .

وتـدارك نفسَهُ بسرعَـةٍ: «هذا تفكيرٌ سلبِيٌّ! فكِّـرْ في طريقـةٍ للنَّجـــاةِ بأسْرَتِكَ. إذا كُنْـتَ لا تستطيعُ التَّمثِيلَ على هـــؤُلاءِ السَّبعَةِ، وتحذيرَهِمْ بفنِّكَ حتَّى تأتي النَّجدَةُ فأنتَ لَستَ بفنَّانٍ!! كلُّ ما تعلَّمتَهُ على الخشبَةِ مِنْ مواجهةِ الجماهيرِ هُرَاء في هُراء!».

الْعصابَـةُ تقترِبُ بسرعَةٍ.. إنَّـهُ الآن يستطيعُ تمييزَ رُؤوسِهِمْ الشَّعْثَاءِ ومَلابِسِ رُعاةِ البقَرِ الزَّرْقَاءِ الوَسِخَةِ.

وهمَسَ لزوجَتِهِ:

- انـزِلِي إلَى حفـافِ الْجُرْفِ. حـــاوِلِي أن تَبْتَعِـدِي عَن هَـذَا المَكَانِ مُتستِّرَةً بالجُرْفِ.

- قَدْ يكونُـونَ مُجرَّدَ جماعةٍ مِنَ الرُّعاةِ وأوْلادِ البَـاديةِ اجْتذَبَهُمْ لَمَعَانُ السَّيارَةِ.

فَنهَرَهَا مِنْ بَيْنِ أسْنَانِهِ:

- افْعلِي مَا أقُولُ لَكِ!

وانحَنَى بهدوءٍ فـاسْتَلَّ القصبَـةَ منَ الأرْضِ، وتظاهَـرَ بأنَّـهُ يُلْقِي بالطُّعْمِ بَعيداً.

وبينَما دِماغُـهُ يُقلِّبُ الاخْتياراتِ الْقليلةَ الْيـائِسَةَ التي ورَدَتْ عليهِ بدُونِ أمَلٍ، لاحَ لهُ على وجْهِ قفَّةٍ مسَدَّسُ لَعِبٍ شبيهٌ بنوْعِ (مَاغْنُومْ) البُـوليسِي الكَبِير كَانْ اشتَرَاهُ لرضَا في عِيـدِ ميلادِهِ على أَنْ يستعيرَهُ هُـوَ ليستعملَـهُ في الأدوَارِ التي تتطلَّبُـهُ. فـانحَنَى والتَقَطَهُ شاكراً اللهَ عَلَى المَعُونَةِ غَيْرِ المُنتظَرةِ.

وَرَكَّزَ المسَدَّسَ في حـزامِهِ حيْثُ يرَاهُ القَادِمُـونَ، وصَبَّ فِكْره على السِّيناريُـو الذِي عَلَيْهِ أنْ يَضَعَهُمْ فِيـهِ، وعلى الحِوَارِ الذِي يَجِبُ أَنْ يُدِيرَهُ، ويوجِّهَهُ الوِجْهَةَ التِي تخدمُ هَدَفَهُ.

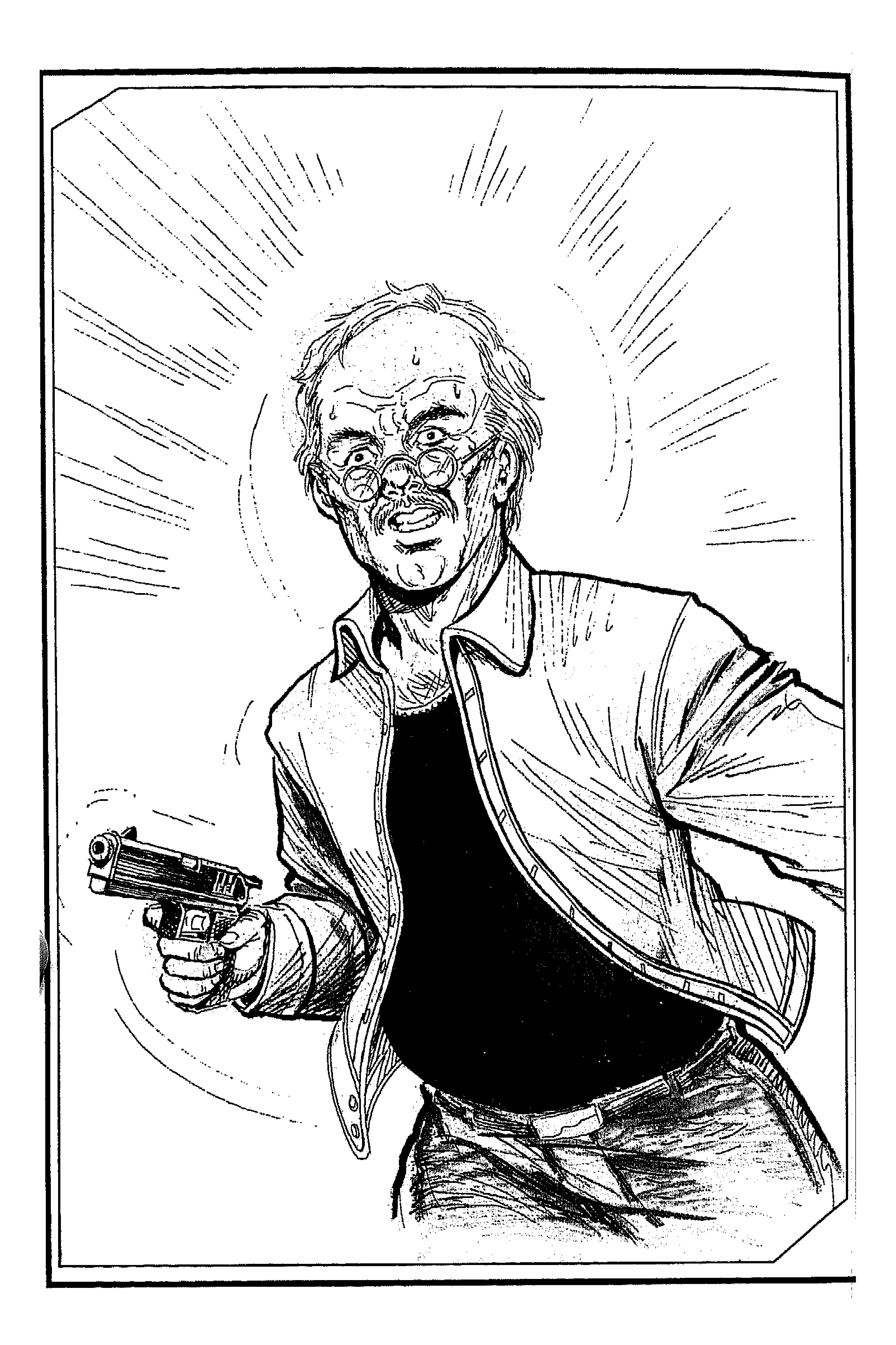
وَحينَ لَمْ يبْقَ بَيْنَـهُ وبيْنَهُمْ إلاَّ نحـوُ عِشْرِينَ مِتْراً وَقَفَ عَلَى رَأْسِ التَّل مَفْتُـوحَ السَّـاقَيْنِ؛ حتَّى لا يَتْرُكَ الفُـرْصَـةَ لِفَـرَائِصِـهِ لترتَعِدَ، وحتَّى يُوحِيَ موقفُهُ إلى خصومِهِ بالقُوةِ وَالاعتدَادِ.

وحينَ لَمْ يَبْقَ بينَهُمَا إلاَّ عَشَرَةُ أَمْتَارٍ صَاحَ فيهِمْ:

- مَاذَا تُريدُونَ ! ؟

فلَمْ يُجِبْ أحَدٌ مِنْهُمْ، بَلْ استمرُّوا في السَّيْرِ نَحْوَهُ.

وهُنَا اسْتَلَّ المُسدَّسَ، وصَوَّبَـهُ نَحْوَ رئيسِهِمْ، وصَاحَ صَيْحَةً عسكريَّةً:



- حَذُّكَ ثَمَّ ! الزَمْ مَكَانَكَ !

فَتَـوَقَّفَ رئيسُ العِصَابَـةِ، وأشَـارَ لجَمَاعَتِـهِ بالتَّـوقُّفِ، وَرَفَعَ يَديْهِ، والتَفَتَ بِجِدٍّ سَاخِرٍ إلى رفاقِهِ :

- ارْفعُوا أيْديكُمْ يَا أولادُ ! الرَّجُلُ مَعَهُ مُسَدَّسٌ .

وَوَقَفَ يَنْظُرُ بعيْنَيْن ذابلتيْنِ مُخَدَّرتين .

وَصَاحَ أحْمَدُ الطِّيبي :

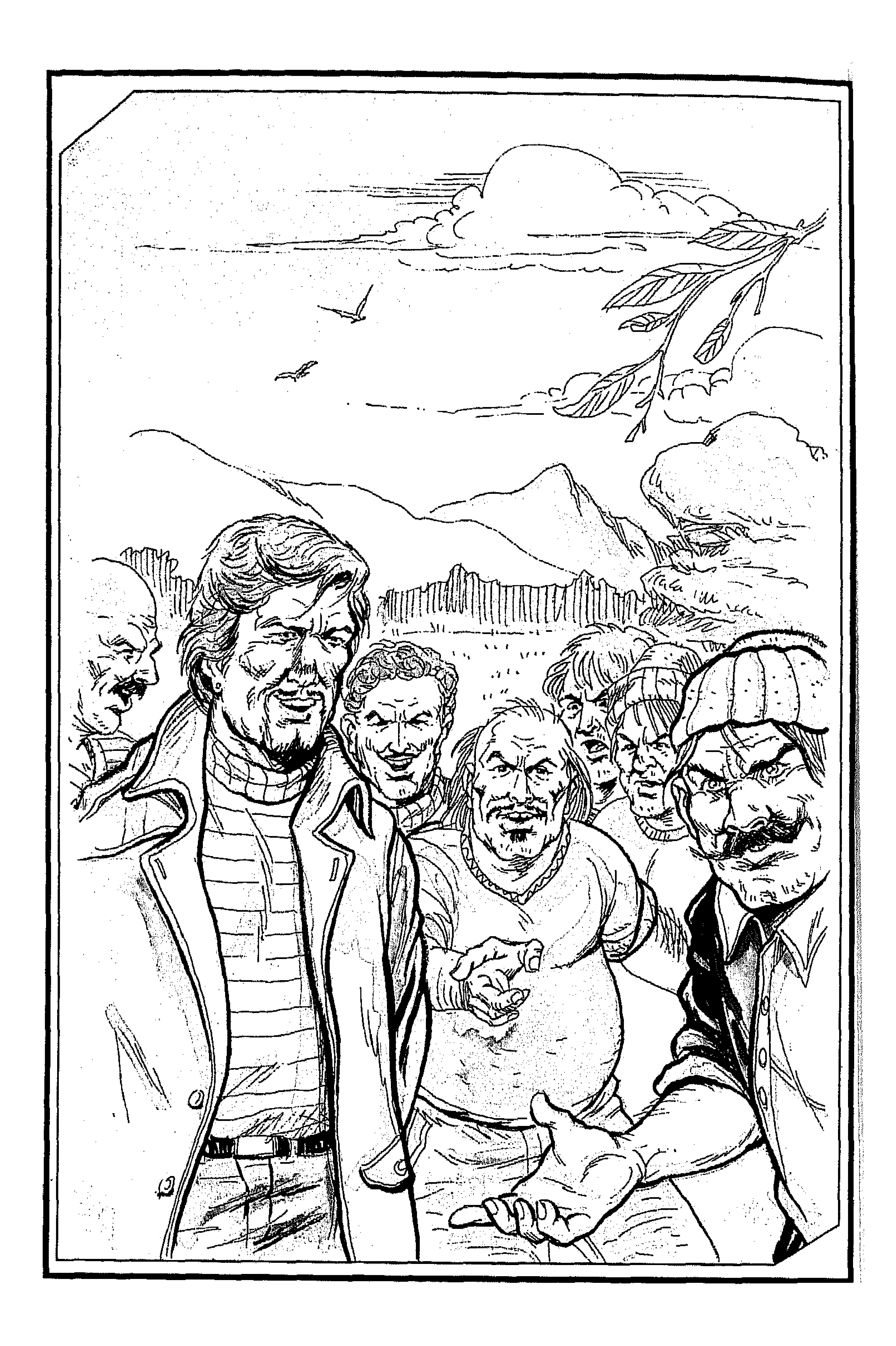
- ماذَا تُريدُونَ ؟

فردَّ الرئيسُ الشَّرِسُ بمسكنةٍ تمثيلية :

- والله يـا سيـدِي لاَ نُريـدُ إلاَّ أنْ نُطِلَّ على البحـرِ مِن فَـوقِ الجُرْفِ . . نُريدُ أنْ نَرَى شَمْسَ الأصيلِ .

وهُنَا انْخَرَطَ أفرادُ العِصابةِ في غِنـاءِ مقطوعَةِ الآلةِ الأنْدَلُسيَّةِ بألْحَانٍ نَشَازٍ:

«شَمْـسِ الأصِيـلِ . . . يَالاَلاَنْ يَالاَلاَنْ، يَالاَلاَنْ لاَلاَنْ ! شَمْسِ الأصِيلِ» .



وَحِينَ انتَهَوْا ضَحِكَ رئيسُهُمْ الـذِي كَانُوا يَدْعُونَـهُ «بالأَفْقَم» لاعْـوِجَاجٍ في فَمِـهِ، وأسْـدَلَ يَدَيْـهِ مُستخفًّـا بتهدِيـدِ الطِّيبي، ومُشيراً إلى الجماعَةِ لِتَتْبَعَـهُ إلى حَيْثُ يَقِفُ الممثِّلُ مفتـوحَ الساقيْنِ وقَدْ طَالَ ظِلُّـه عَلَى الأرْضِ حتَّى حَاذَى أقدامَهُمْ. وحينَ تَلكَّأَ البعْضُ خَوفاً مِنَ المُسدَّسِ صَاحَ فِيهم سَاخِراً:

- إنَّهُ لُعْبَةُ أطفالٍ!

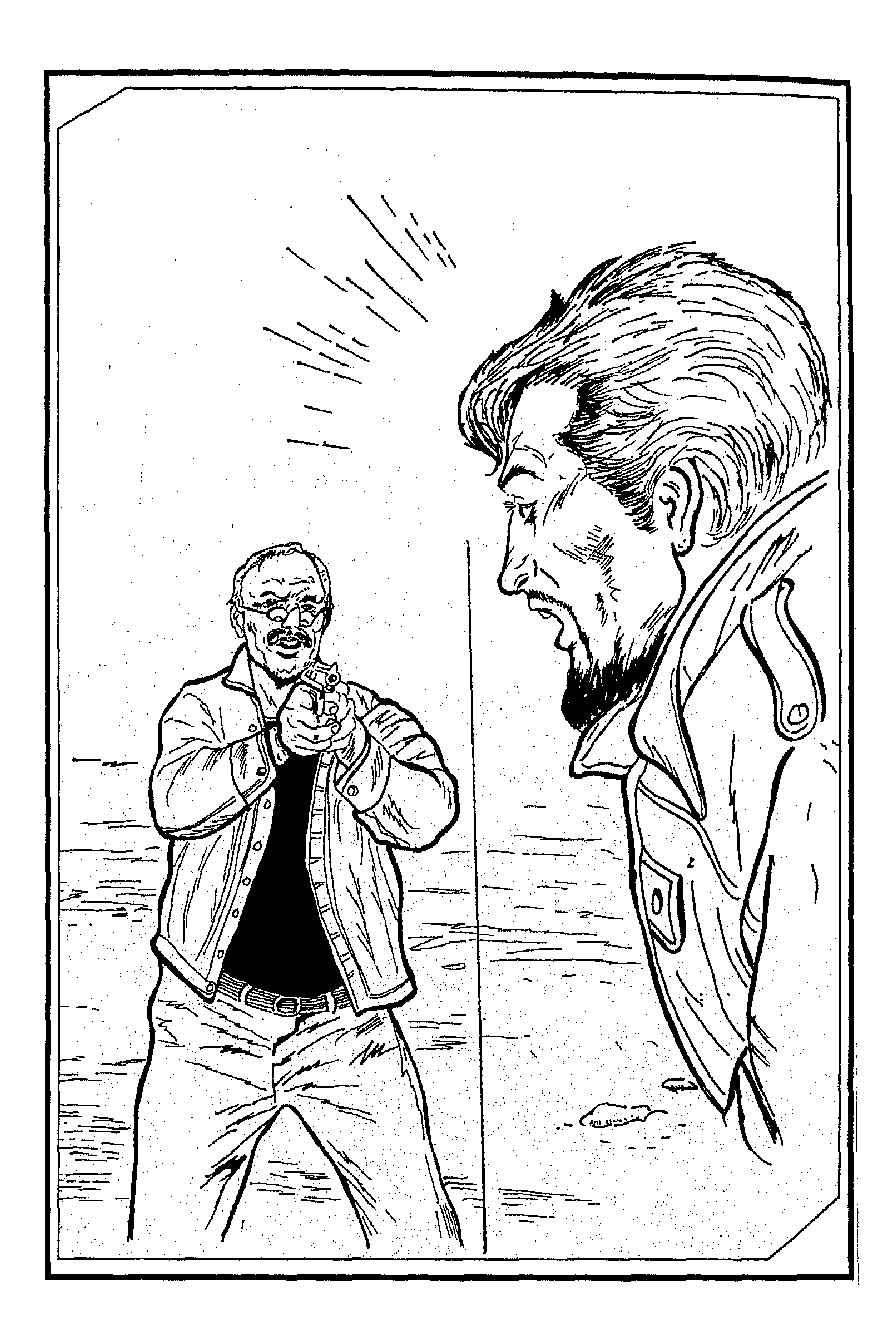
فصَاحَ بِهِ الطِّيبي:

- هَلْ تُـراهِنُ؟ هَلْ تُراهِنُ على أنَّـهُ لعْبَةُ أطْفـالٍ؟ ستُراهِنُ بحياتِكَ!

وانقلَبَ تعبيرُ وجْه الأفقَمِ السَّاخِـرِ إلى عُبُوسٍ كَالِحٍ شَرِسٍ، وَأشَـارَ بِيَـدِهِ إلى الـذِي خَلْفَـهُ دُونَ أنْ يَنْقُلَ بَصَرَهُ عَنِ الطِّيبي لِيُطَوِّقَهُ مِـنَ اليَسَارِ. وَمَا كَادَ الرَّجُلُ يتحـرَّكُ حَتَّى صَرَخَ فِيهِ أحْمَدُ الطِّيبي:

- اِلْزَمْ مَكَانَكَ، إذَا لَمْ تُرِدْ أنْ تَذُوقَ طَعْمَ مُخِّكَ...

وَلَوَّحَ بالمُسَدَّسِ اللامع في وَجْهِ الأفْقَمِ وقال:



- هَذَا مُسَدَّسٌ بُوليسيٌّ منْ نَوْعِ «مَاغْنُومْ ـ فُورْتِي فَايْفْ» .

نَطَقَهَـا بالإنْجليـزيَّة، كَمَا حَفِظَهَـا في أحَـدِ أدْوَارِهِ القَدِيمَـةِ لِيبْهرَهُمْ. وَأَضَافَ :

- إنَّـهُ يُصِيبُ الإبـرَة عنْ بُعْدِ مـائَةِ مِتْرٍ ! وكَـانَ يُمْكِنُ لِي أن أجرِّبَـهُ أمَامَكُمْ لِتَرَوْا مَفْعُـولَ هَذَا المدْفَعِ المُتَنَكِّـرِ فِي زيٍّ مُسَدَّسٍ صَغِيرٍ، لولاَ أنَّ بِهِ سِتَّ رَصَاصَاتٍ فَقَطْ وأنْتُمْ سَبْعَةٌ !

وَصَاحَ أحدُهُمْ منَ الخَلْفِ :

- حَتَّى وَلَـوْ أصبتَ سِتَّةً مِنَّـا، سَيَبْقَى وَاحِـدٌ ليصَفِّي مَعَكَ الحِسَابَ !

فَأَجَـابَهُ الطِّيْبِـي بِلَهْجَةٍ مستَرْخِيَـةٍ تُـوحِي بالثِّقَـةِ الكَبيرَةِ في نَفْسِهِ.

- لَقَـدْ حَسَبْتُ حِسَـابِي جَيِّـداً. سَـوْفَ أُصَفِّي أقْـوَاكُمْ بـالـرَّصَـاصَـاتِ السِّتِّ، وَسـأُبْقِي أَضْعَفَكُمْ لأسْحَقَـهُ بِيَـدَيَّ هَاتَيْنِ! فَأَنَا حَائِزٌ عَلَى الحِزَامِ الأَسْوَدِ فِي مُصَارَعَةِ الكَرَاتيه!

ونَـزَلَ صَمْتٌ أَحَسَّ فِيـهِ الطِّيبِـي بـالـزَّهْـوِ والاِنْتِصَـارِ عَلَى العِصَابَةِ .

ونطَقَ الأفْقَمُ مُشيراً إليْهِ باستخفافٍ :

– حزَامٌ أسْوَدُ بذلِكَ البَطن !؟

ضبطَتْهُ ملاحَظَةُ الأفْقَمِ على حِينِ غَفْلَةٍ مِنْهُ ، فلوّحَ بمسدَّسِهِ سريعاً ، وَسَحَبَ بَطْنَهُ بينَمَا هُمْ يَنْظُرون إلَى المُسَدَّسِ ، وقال :

– الكراتيه فَنٌّ لا علاقَةَ لَهُ بشكْلِ الجِسْمِ ولا حجمِهِ !

وكَـانَ العـرقُ قَـدْ مـلأ وجْهَـهُ ، وبـدَأَ يتصبَّبُ على سـائِرِ جسَدِهِ ، وهُـوَ يُحِسُّ بقطراتِـهِ تتجمَّعُ تَحْتَ إبطَيْهِ . خَلَعَ نَظَّـارتَهُ السَّـودَاءَ لمسْحِهَـا مِنْ بُخَـارِ العَرَقِ الـذِي بـدَأَ يَحْجُبُ رُؤيتَـهُ ، فبانَتْ عَيْنَاهُ الدعجَاوَانِ ، وحاجِبَاهُ المقْترِنَانِ .

وهُنَا صَاحَ أحَدُ أفرَادِ العِصَابَةِ مُتَذَكِّراً :

– إيه ! الآنَ تَذَكَّرْتُ ! ألَمْ تعرفُوهُ ؟ إنَّهُ مُمَثِّلٌ . . . مُمَثِّلٌ قديمٌ ! رَأيتُه مرَّةً في التّلفِزيُون . إنَّهُ أحمَد الطِّيْبِي !

فَقَالَ الأفْقَم، وقَـدْ دَخَلَ مَرْحَلَةَ اليَقِينِ بعْدَ الشَّكِّ، مُـوجِّهًا الكَلاَمَ لأحْمَد الطِّيبِي :

- كِدْتَ تَنْجَحُ في التَّمْثِيلِ أَمامَنَـا ! ولكِنَّ المَسْرَحِيَّةَ انْتَهَتْ، وانْسَدَلَ السِّتَارُ ! وقَدْ تَعِبْنَا وَاقِفِينَ.

وصَفَّقَتْ بَقِيَّةُ العصابَةِ وهَتَفَتْ في تَهَكُّمٍ: «برافو ! برافو !».

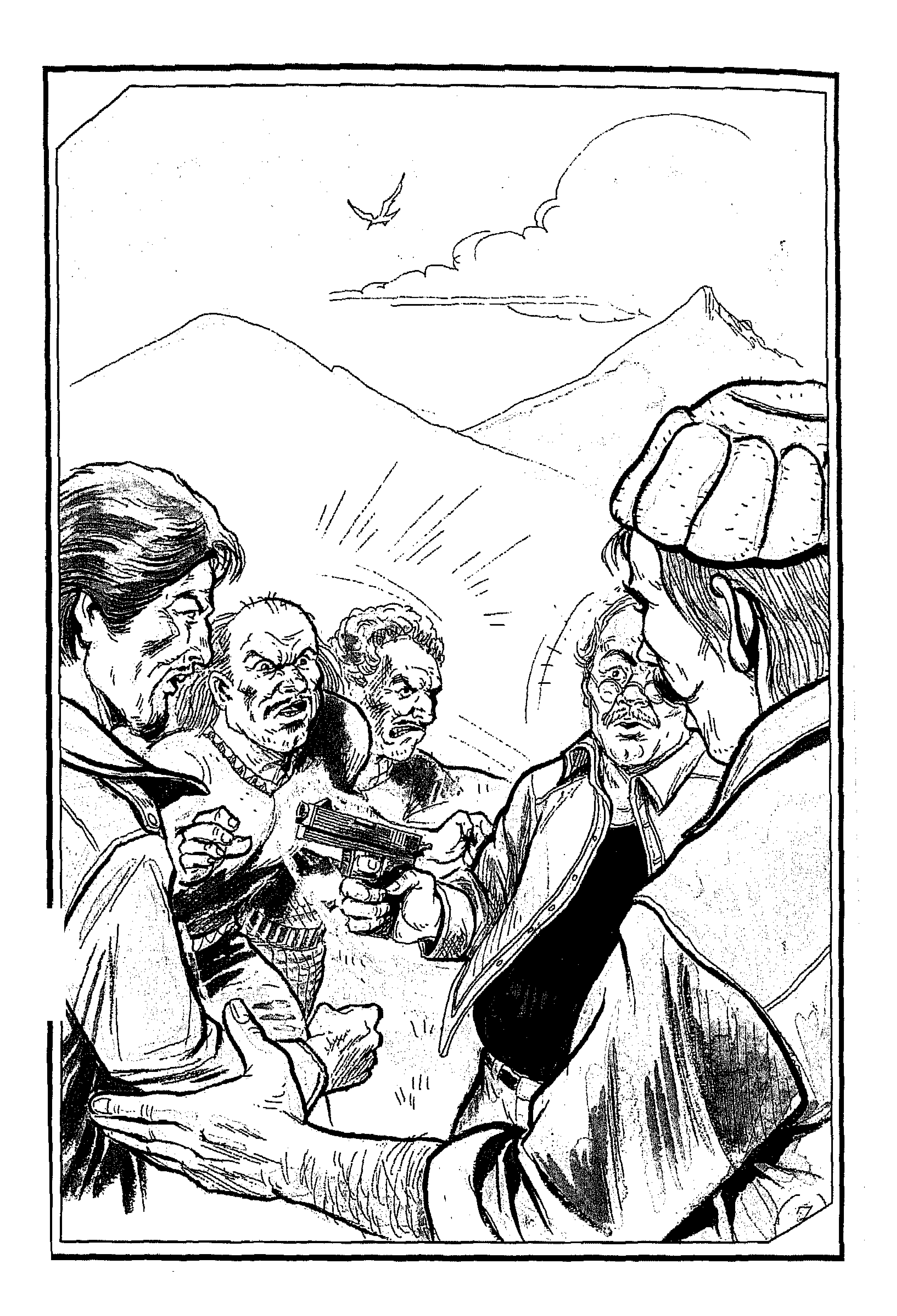
واقترَبَ منـهُ الـرئيسُ بضْعَ خطـواتٍ مُشيرًا إليْـهِ بإصْبَعِـهِ، وكَاشِفًا عنْ خِنْجَرٍ كَبيرٍ في حِزَامِهِ الوَاسِعِ المُرَصَّعِ بالنُّحَاسِ :

- اسمَعْ، إكْرَامًا لِتمثِيلكَ سَنَتْرُكُكَ تَذْهَبُ.

فَتَنَهَّـدَ الطِّيبِيُّ الصُّعَـدَاءَ في سِرِّهِ، ولَكِنَّ ارْتِيَـاحَـهُ لَمْ يَطُلْ؛ فَقَدْ أَضَافَ الأفْقَمُ :

- ولكِنْ بِشَرطٍ، أَنْ تَتْرُكَ لَنَا السِّيَّارَةَ والمَرْأَةَ، وتَذْهَبَ.

وأَحَسَّ بـوَجْهِهِ يمْتَقِعُ فَجْأَةً، وبأعْصَـابِهِ تكادُ تُفْلِـتُ مِنْهُ، وأنَّــهُ يُـوشِكُ أنْ يَصْرُخَ في وَجْهِــهِ: «تِلْكَ المَرأةُ زَوْجَتِي، وأُمُّ أولادِي أيُّها الكـلاَبُ ! ولَنْ تَصِلُـوا إليْهَــا إلاَّ فَـوقَ جُثَّتِي !»، ولكنَّهُ رَاجَعَ نَفْسَـهُ بسرعةٍ، وكأنَّـهُ يُنْصِتُ لمُلَقِّنِ المَسْرَحِ يهْمِسُ



لَهُ: «الْـزَمِ السِّناريُو ! لاَ تلعَبْ في أيديهِمْ. لاَ تفقِـدْ أعصابَكَ فيحتقِروكَ و يغلِبُوكَ !».

«ولكِنْ، يـا إلَهِي! مَـاذَا أفْعَـلُ الآنَ؟! هَـذِهِ مُفَـاجَأَةٌ لَمْ أَتَوَقَّعْهَا!».

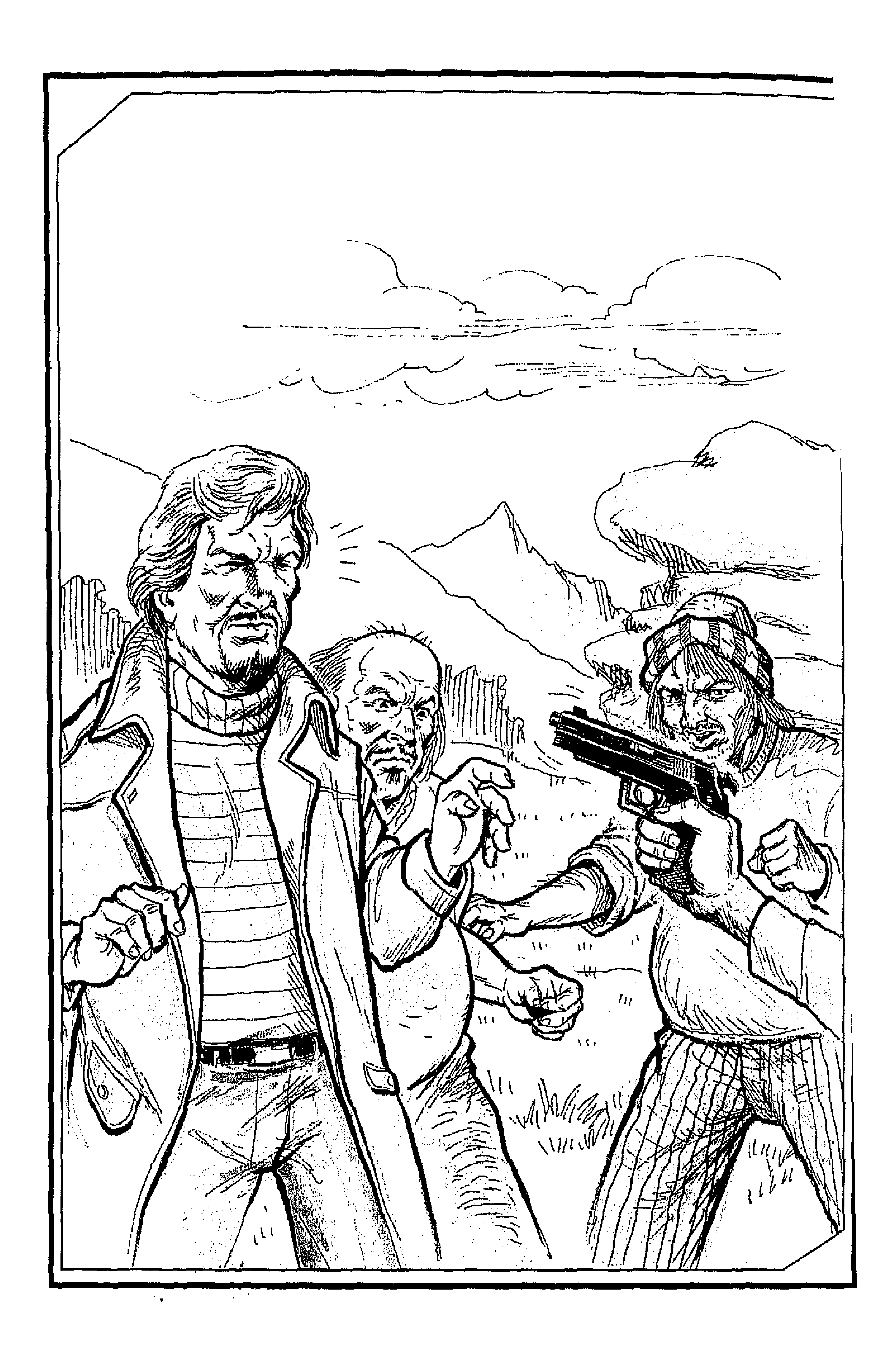
وَقَبْلَ أنْ يُحِسُّوا بارْتِبَاكِهِ، تَدارَكَهُ ذكاؤه المسرحِيُّ، فقَالَ:

- أنْتُمْ تعـرفُـونَ فقطْ أنَّنِي مُمَثِّـلٌ! وَهَلْ يسْتَطيعُ المُمَثِّلُ، في هَذِهِ الأيـامِ أنْ يَشْتَرِيَ سيَّارَةً ومنْزِلاً ؟ بَلْ هَلْ يَسْتَطِيعُ، بـدَخْلِهِ التَّافِهِ، حَتَّى أنْ يَتزَوَّجَ كَبَقِيَّةِ عِبَـادِ اللهِ ؟! كَلاَّ ! لِذَلِكَ فأَنَا الآنَ أعمَلُ مَعَ رِجَالِ الأمنِ. ونحـن نَعْرِفُ أنَّ عِصَابَـةَ عَيْنِ الذِّئَابِ تَـرَكَتْ الدَّارَ البيْضَـاءَ بالأمْـسِ في اتِّجَاهِ الرِّبَـاطِ. وَقَدْ تَطَـوَّعتُ لأكُونَ طُعْماً لَكُمْ في هَـذِهِ البُقْعَةِ المنعزِلَـةِ، لأنَّكُمْ دَائِماً تختارُونَ ضحايـاكُمْ مِن منتجعِي الأماكِنِ الخاليـةِ ! وقَدْ صَـدَقَ حدسِي البوليسِي. فمرحباً بكُمْ في سِجْنِ الرِّبَاطِ.

وهُنَا نَظَرَ الأفْقَم إلَى بقيَّةِ العِصابَةِ، وصاحَ فِيهِمْ:

- إنَّهُ يكْذِبُ ! يُمَثِّلُ. تعالَوْا نُزِلْهُ مِنْ طريقِنَا، ونَأْخُذِ السَّيارةَ والمرْأَةَ ونبتعِدْ عَنْ هَذِهِ البُقْعَةِ المشؤومةِ !





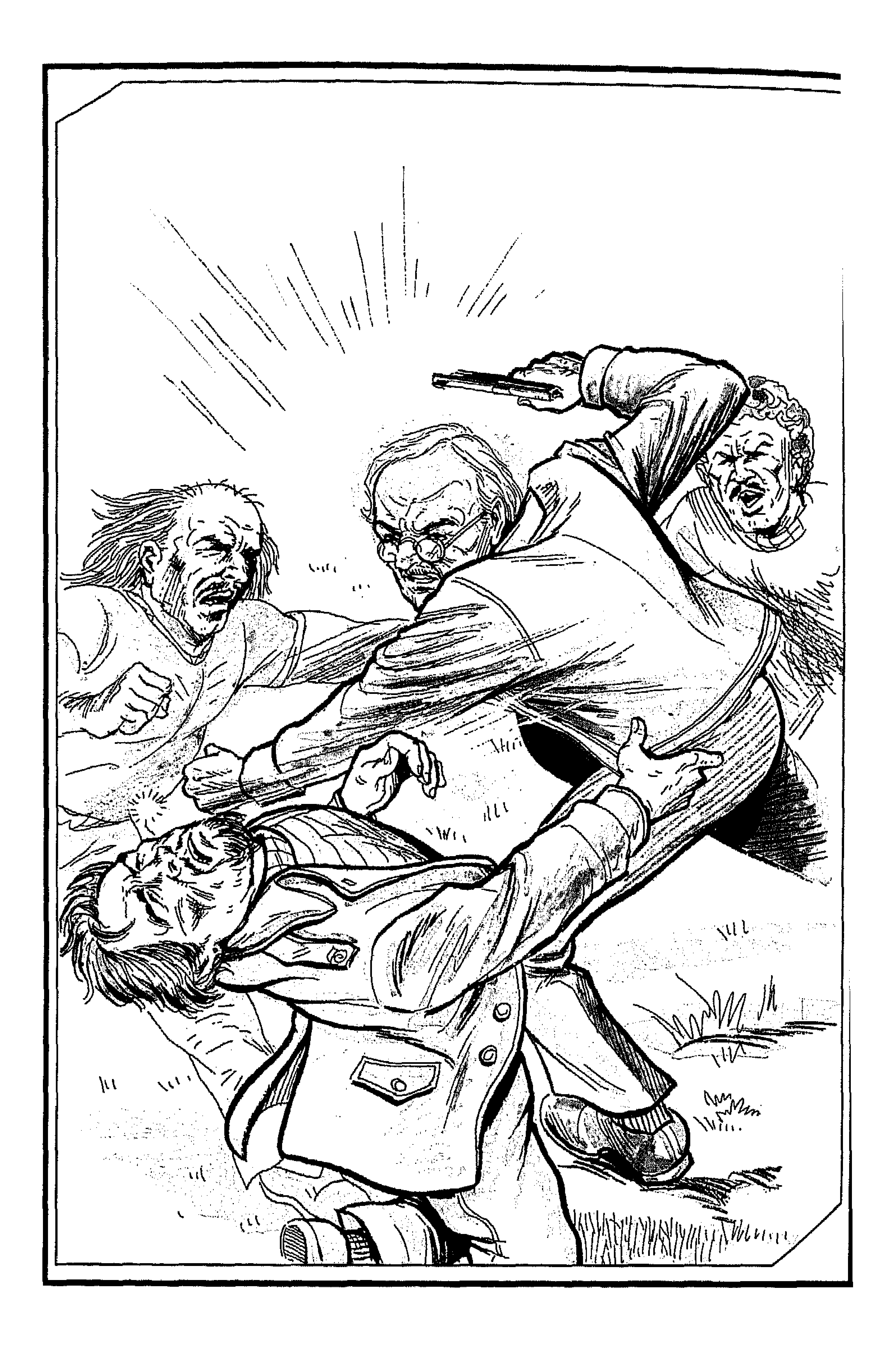
وتحرَّكَ البَعضُ، وبقِي البَعْضُ ثابِتًـا في مكانِـهِ، فصاحَ فيهم الطِّبِيبي :

- لَنْ تذهَبُـوا بعيدًا. إنَّكُم مطوقُون منْ كُلِّ جَـانِبٍ ! والبَلَدُ كُلُّهُ يبحَثُ عنكُمْ. فَقَدْ رَصَـدَتْ عَائِلَةُ ضَحِيَّتكم الأخيرَة جَائزَةً بمبلغِ مائَةِ مَليُـونٍ لِمَنْ يَقْبِض عَلَيكُمْ، أو يَأتِي بأحـدِكُمْ حيًّا أو ميِّتًـا ! أَلَمْ تعـرِفُـوا ذَلِكَ ؟ طَبْعًـا لاَ. إنكُم أُمِّيُّـونَ لاَ تقـرأُونَ ولا تكتبُونَ.

وانْحَنَى فالتَقَطَ الجَرِيدَةَ، وَعَرَضَهَا عَلَيْهِمْ :

- انْظُـرُوا. كُلُّ ذلكَ في جَـريـدَةِ اليَـوْمِ. الجَائزَةُ لأيِّ واحـدٍ يَدُلُّ عَلَى رئيسِ العِصَابَةِ ! حَتَّى مِن بَيْنِ أفْـرَادِ العِصَابَةِ نفسِهَا. أيُّ وَاحِـدٍ مِنكُمْ يمْكِنُـهُ الحُصُـولُ عَلَى عَفْـوٍ شَـامِلٍ عَنْ جَمِيعِ أعمالِهِ مَعَ العصـابَة إذَا أخبر الشُّرطَةَ بمكان العصـابة، أو أخَذ أحدَ أعْضائِهَا.

وهُنَـا بَـدَأَ أعضَـاءُ العِصَـابَـةِ يبْتَعِـدُ بَعضُهُمْ عنْ بَعْضٍ، وينظُرونَ حَوَالَيْهِمْ في شَكٍّ وارْتِيَابٍ شَدِيدٍ. . .



وزَادَ وَجْهُ الأفقَم اعـوجَاجًا وهُو يَنْظُرُ بِمَقْـتٍ شَدِيدٍ إلَى أَحْمَدَ الطِّيبِي ، واسْتَلَّ خِنْجَرَهُ ، ومَشَى نَحْوَهُ بِخطوَاتٍ وَاسِعَةٍ .

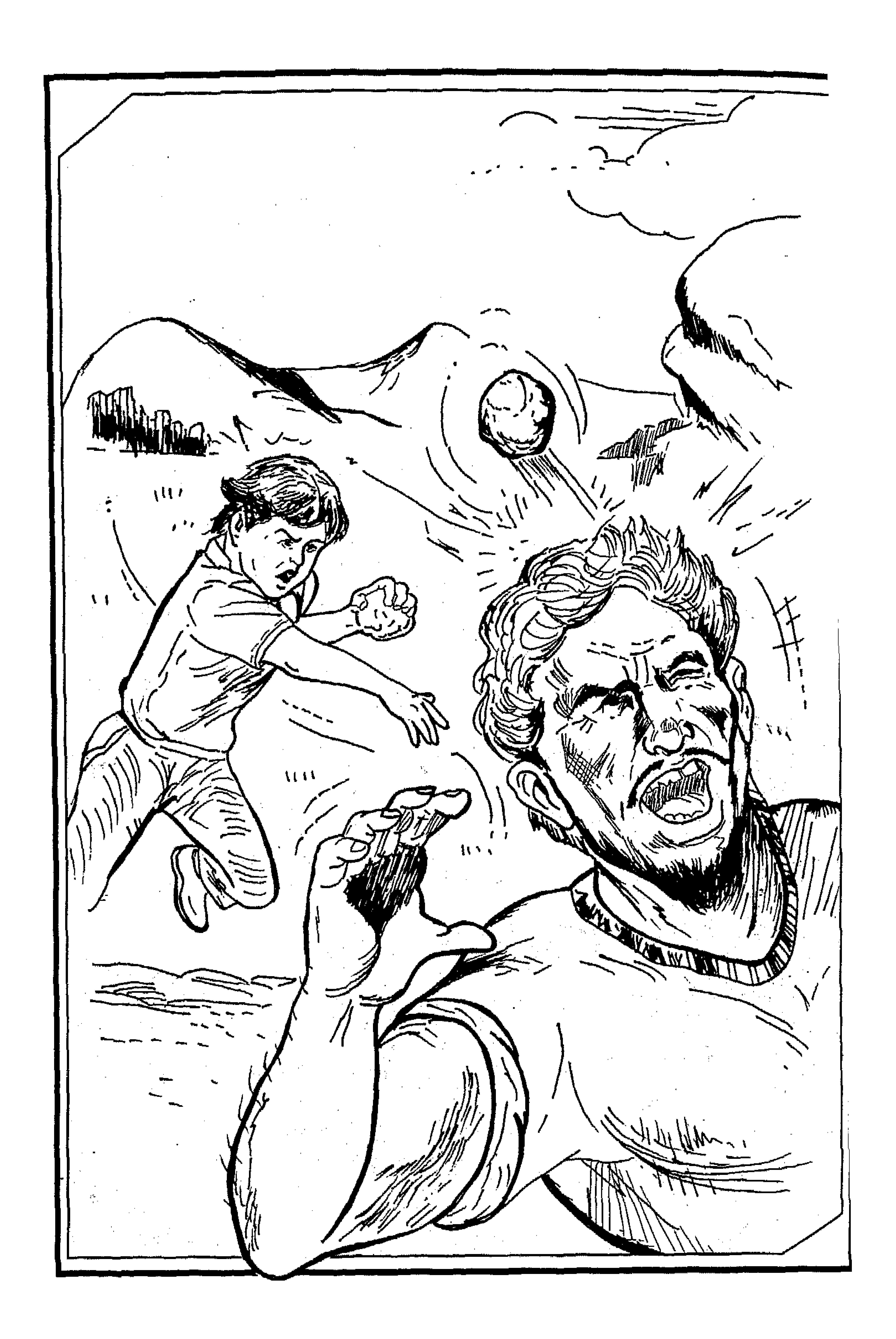
وارتَبَكَ الطِّيبِي ، فأَخَذَ يبتَعِدُ ويَصيحُ فِيهِ :

- اِلْزمْ مَكَانَكَ ، أو أُطْلِقُ النَّارَ !

- إذَا كَـانَ مَـا قُلْتَـهُ صَحِيحـاً عَنِ التَّطْـوِيقِ والجَائِزَةِ ، فَلَنْ أتركَكَ حَيًّا لتَتَمَتَّعَ بِهَا ، أو لِتَتَشَفَّى مِنِّي حِين يَقْبِضُون عَلَيَّ .

وعَثَرَ الطِّيبِـي في الكُرْسِي القَصِيرِ خَلْفَهُ وسَقَـطَ عَلَى ظَهْرِهِ ، وارتَمى عليْـهِ الأفقَمُ ، فأمسَكَ الطِّيبِي برسْغِ يَـدِهِ القابضَـةِ عَلى الخِنْجَـرِ لِيُبْعِـدَهُ عَنْ وجْهِـهِ . . وتَدَحْـرَجَ الاثنَـانِ عَلَى الأرْضِ حَتَّى كَـادَا يَقَعَانِ في البحْرِ. وينِسَ الطِّيبِي لِعِلْمِهِ أنَّ العصـابَةَ ستهُبُّ إلى مساعـدَةِ رئيسِهَا والإجهَـازِ عليْهِ هـو، ولكِنَّ انتِظارَهُ طَـالَ ، وَهُوَ يُصَـارِعُ المَارِدَ الشَّرِسَ بقوة لمْ يَعْهَـدهَـا في بَدَنِـهِ من قَبْلُ .

واستطـاَعَ الأفقم في النِّهَـايَـةِ أن يُمْسِكَ بيَـدَي الطِّيبِي ، ويضعهما تَحْتَ رُكْبَتَيْهِ ، ويرْفَعَ الخِنْجَرَ ليغرسَهُ في صَدْرِهِ .



وفي تِلْكَ اللَّحظَـةِ نـزَلَ حَجَـرٌ عَلَى رأس الأفقَمِ، فأفقَـدَهُ الوَعْيَ، وسَقَطَ على صَدْرِ الطِّيبِي كالخَروفِ المذبُوحِ.

وفتَحَ الطِّيبِي عينيْـهِ، لِيَرى ولدَهُ طـارِقـاً يُزِيحُ جَسَـدَ رئيسِ العِصَـابَـةِ مِـنْ فَـوقِ صَـدْرِهِ، ويُمسِكُ بيَـدِهِ ليُسَـاعِـدَهُ عَلَى الوُقُوفِ، فيُعَانِقُهُ بِحَرَارَةٍ وقوَّةٍ، وينفَجِرُ بَاكِياً.

وانضمَّت إليْهِمَا زَوجتُـهُ زُبيـدَة وَوَلَـدُهُ رِضَـا، فأخَـذَ ينظُـرُ حـواليهِ في دهْشَـةٍ، وقد ازْدَحَمَ المكـانُ بالنَّـاسِ، وكأنَّ الأرْضَ انشقَّتْ عَنْهُمْ...

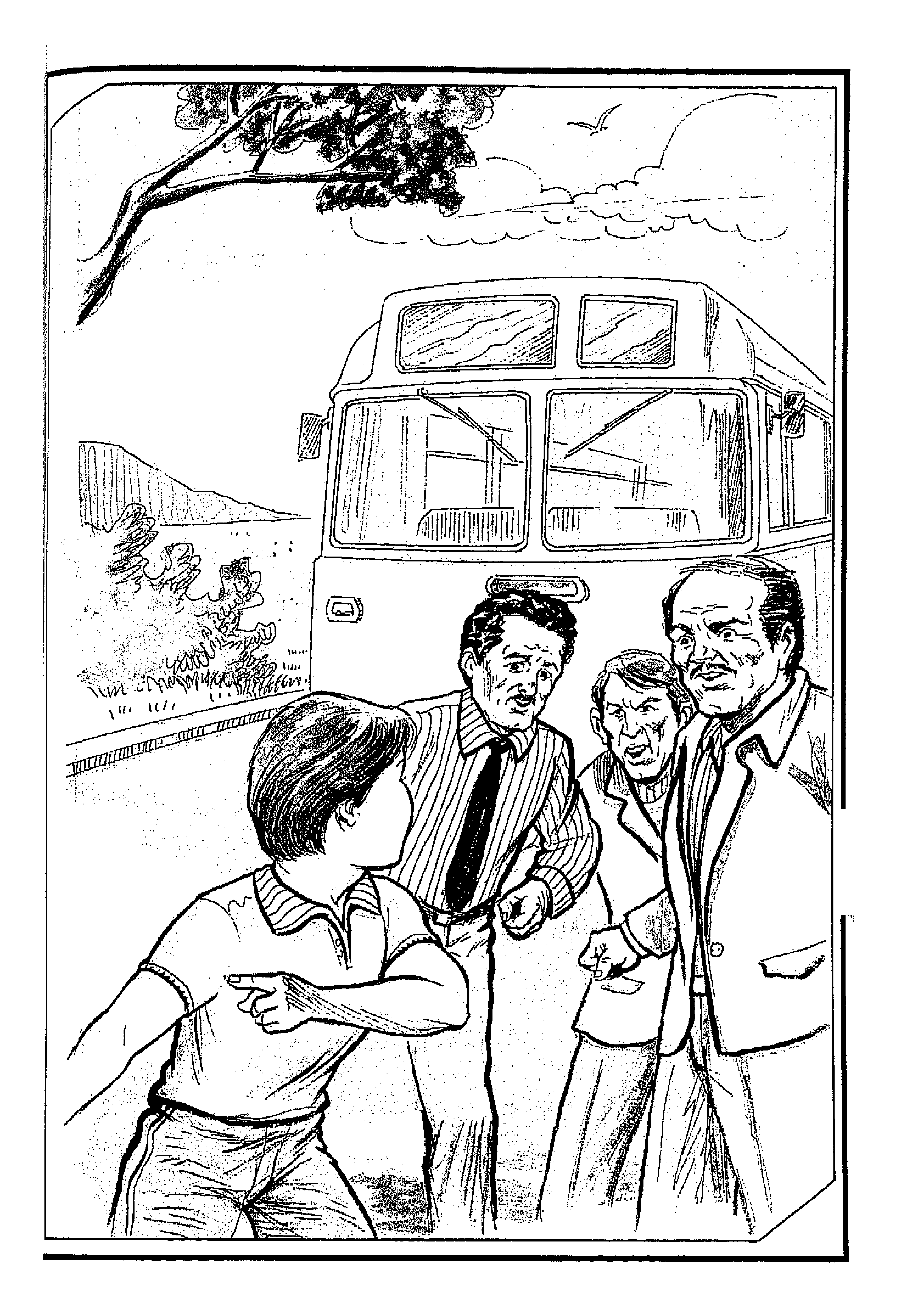
وحِينَ اقتَادَ النَّـاسُ أفرَادَ العِصَـابَةِ، وأيقَظُـوا رئيسَهَا، وعَـادَ أحمَدُ الطِّيبِي وعائلَتُهُ إلى سيَّارتِهِم، حَكَى لَهُ طارِقٌ مَا فَعَلَ حِينَ هَجَمَتِ العِصَابَةُ.

قَالَ: «حِينَ أدْرَكْـتُ أننا مُطوَّقُـونَ، قُلْتُ في نَفْسِي لا ينْبَغِي أنْ أضيعَ دقيقَـةً واحِـدَةً في الحَسْرَةِ وانتِظَـارِ الفَـرجِ. فخَلَعْتُ مـلابِسِي إلاَّ الحِذَاءَ، ومشيْتُ على حَـرْفِ الجُرفِ القَـرِيبِ منَ المَاءِ. ولحسْنِ حَظِّي لَمْ تكُنِ الأمـوَاجُ عَاليةً، حَتَّـى ابتَعَدْتُ عَن

هَذَا المَكَانِ، وخَرَجْتُ منَ النَّاحِيَةِ الأُخْرَى، وَسطَ الغَابَةِ كَيْ لاَ يَرَانِي أفرَادُ العِصَابَةِ. منْ هنَاكَ أطلَقْتُ سَاقيَّ للرِّيحِ حَتَّى وَصَلْتُ طَرِيقَ السَّيارَاتِ. وحَاولْتُ بكُلِّ قُوَايَ وقُدْرَتِي عَلَى التَّمثِيلِ أنْ أوقِفَ سيَّارةً خَاصَّةً وَاحِدَةً، فلَمْ أفْلِحْ.. «قُلُوبُ الحِجَارَةِ!».

فعلَّقَ أبُوهُ: «لا تقْسُ عَلَيهِمْ يَا وَلَدِي؛ فالنَّاسُ يخافون، ومَنْ سَيَقِفُ لولَدٍ عَارٍ وسطَ الطَّرِيقِ في أوَّلِ اللَّيلِ؟».

واستأنَفَ طَارِقٌ: «ولكنَّنِي رأيتُ حافِلةً ضخمَةً آتية مِنَ الدَّارِ البَيْضاءِ مَليئةً بالرُّكَّابِ، فوقَفْتُ أمَامَهَا، ألوِّحُ بكِلْتَا يَديَّ، وهي قادمَةٌ نَحوِي بسُرعَةٍ، والسَّائِقُ يُشْعِلُ النُّورَ في وجْهِي حتَّى أحيدَ لَهُ عَنِ الطَّريقِ. وحِينَ تأكَّدْتُ من أنَّهُ رآنِي ألْقَيْتُ بنفْسِي أمامَهُ، وأغلقْتُ بجسَدِي الطَّريقَ. وسمِعْتُ زَعِيقَ عجَلاتِهِ الضَّخْمَةِ عَلَى الأرْضِ، فأيْقَنْتُ أنَّهُ سَيَدُوسُنِي فتشهَّدْتُ، وأغمضْتُ عينَيَّ. ولكنَّ الله سلَّمَ. فقَدْ تَوَقَّفَتِ الحافلَةُ الهائلَةُ، وعجلتُهَا الأمامية اليُمنَى تكادُ تلمسُ رأسِي.



ونَـزَلَ النَّـاسُ ، وجَـاءَ السَّائِقُ غَـاضِبًـا يُـرِيـدُ أن يضرِبَنِي ، فَصِحْتُ فيهِـمْ بأعْلَى صَـــوتِي : «أبِي وأمِّـي وأخِي الصَّغيرِ في خَطَـرٍ ! عِصَـابَـةُ الـدَّارِ البيْضَـاءِ تطـوقهم هنَـاكَ على حفـافِ الجُرفِ . أرجُوكُم تعَالَوا معي لإنقَاذِهِم . . . » .

وتَقَـدَّمْتُهُمْ أجْرِي ، وهُم خَلْفِي ، حَتَّى اقْتَرَبْنَـا ، ورآنا أفـرادُ العِصَـابَةِ ، فحَـاوَلُـوا الهُروبَ ، ولكنْ بَعْـدَ فَواتِ الأوانِ ، فقَـدْ طـوَّقهُم رُكَّـابُ الحافِلَـةِ من كلِّ مَكَـانٍ ، وأمسكُـوا بِهِمْ وَاحِـداً واحِداً كـالدَّجَـاجِ . وقَصدْتُ أنَا رئيس العِصـابَةِ فأدركتُـهُ وهُوَ يكادُ يطعنُكَ بـالسِّكِّينِ ، فالتَقَطْتُ حَجَـرَ «المَرَاغَةِ» وهَـوَيتُ بِهِ على رأسِهِ . . » .

وضمَّتْـهُ أمُّهُ وبَكَتْ . وبقـي والدُهُ أحمَدُ الطِّيبي يُـرَدِّدُ : «الله يَرْضَى عنك ، يَا وَلَدِي ! الله يرضَى عنك بِقَدْرِ مَا في السماء منْ نجـوم ، ومن قطـرات الماء في البحـــر ، وحبَّـاتِ الـرمل في الصَّحراء ؛ فَقَدْ أنْقَذْتَ حيَاتِي» .

فسألَ طَارِقٌ : «في الـوَاقِعِ كُنْتُ يائسـاً من المَجِيءِ في الوقْتِ

المنـاسب. فكيفَ اسْتَطَعْتَ أنْ تُـؤَخِّرَ هجُـومَهُمْ عَلَيْكُمْ طُـولَ هَذِهِ المُدَّةِ؟!».

فَـــرَدَّ أحمَدُ الطِّيبي: «والله، يَـــا ابْنِـي، لاَ أدْرِي كَيْفَ؟ تَمَلَّكَتْنِي غَريزَةُ حُبِّ البَقَـاءِ، فدافعْتُ عَنْ نَفْسِي بأحْسَن وسِيلَةٍ أتْقِنُهَا، التَّمثِيل!».

وعَلَّقَتِ الأم: «لَـو كُنْتَ هنَـاكَ، يَـا طَارِقُ، لـرأيْتَ وَالِـدَكَ يُمَثِّل أعظَمَ دَورٍ في حَيَـاتِهِ! حَتَّى أنَـا انخَدَعْتُ، وصَدَّقْـتُ مَا كَانَ يَقُولُهُ عَنْ كَونِهِ مَعَ البـوليسِ، وأنَّهُ كَانَ يَنتَظِرُهُمْ هنَاكَ كَفَخٍّ بَشَرِيٍّ حَيٍّ! لِدَرَجَة أنَّني ارتَحْتُ وَزَالَ عَنِّي الخَوفُ!».

وسَألَ رِضَا أخَاهُ طَارِقًا:

«ولكن لمَاذَا خلعْتَ ملابسَكَ لتذهب للمجيءِ بالنجدَةِ؟»

فـرَدَّ طَـارِقٌ: «لأستَطِيعَ السِّبَـاحَـةَ إذَا سَقَطْتُ في البَحْـرِ، وحتَّى لا يَسْتَطِيعُوا الإمسَاكَ بِي إذَا طَارَدُونِي!».

وضَحِكَ الأربَعَةُ منَ القَلْبِ!


العبيكان
Obeikan
(01) 4983392

هذه السلسلة



تضم هذه السلسلة مجموعة مختارة من القصص والروايات التربوية التشويقية المختارة للكاتب المغربي المعروف أحمد عبدالسلام البقالي، الحاصل علي جائزة «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».

وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس، وخياله الخصب، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من مفاجأة إلى أخرى، ومن عالم إلى آخر، يقرب للقارئ أحداث الماضي البعيد، ويلقي الأضوا ... المستقبل، بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحا... فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية ... الحديثة للشباب في العالم العربي.

مكتـ